جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)
Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)

مجلة التواصلية
رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894
رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 5845-2015
ر ت م د إ: 537X-6202

أهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي وروافدها

أ.البشير خذير
جامعة عمار ثليجي بالأغواط- الجزائر
bkhadir846@gmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2019-01-01	2020-08-28	2020-12-31

المرجع: البشير خذير، «أهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي وروافدها»، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص: 438-472.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294

المنارة للاستشارات

أهم خصائص الكتابة الأدبية عند محمد البشير الإبراهيمي وروافدها

أ.البشير خذير

جامعة عمار ثليجي بالأغواط –الجزائر

ملخص:

لقد وجدت الرغبة تحدوني إلى دراسة الأدب الإبراهيمي، فأحببت أن أُلِم شتات هذا الموضوع، وأُرتب أفكاره وأدرس آثاره، فما يميز هذا الأدب نزعته العميقة إلى الأصالة والأخذ بحظ وافر من طرائق الأقدمين في النسج، مع وضوح الشخصية، ورصانة العبارة. وقد جاء العمل يسير وفق منهجية التالية: المقدمة حوت تمهيدا وجيزا نوه بالأدب الإبراهيمي ومدي جماليته، ثم عرضت لذكر الأسباب الكامنة وراء اختيار الأدب الإبراهيمي، ثم بعدها مبحث تحت عنوان الخصائص العامة للكتابة الأدبية عند الإبراهيمي وفي هذا البحث اقتصرت على أهم الخصائص. أمّا المبحث الثاني فهو بعنوان أصول ومصادر الكتابة الفنية لدى **محمد البشير الإبراهيمي** ويندرج تحته: الباب الأول: تأثر الإمام بالقرآن العظيم، وفي هذا الباب تنَاوَلت مظاهرَ التأثر بالخطاب القرآني وأبرزَ الطرق التي تعامل بها الإمام مع النص الرباني. وفي الباب الثاني**:** التأثر بالحديث النبوي الشريف. أما في الباب الثالث فقد بحثت تأثر الإمام بالشعر العربي. وتتبَّعت في هذا كله ملامحَ التأثر المباشر بهم في المعجم اللغوي سواء على مستوى اللفظة المُفردة والجملة المُركبة، وفي الأغراضِ والقِيَم المعنوية، وفي الإشارات التاريخية والقصصية.

Abstract :

This paper deals with Al - Ibrahimi's literature, his subjects, and ideas. What distinguishes this literature is its profound descent into originality and the adoption of ancient methods of texture.The work has proceeded according to the following methodology: A short introduction to the literature of Al- Ibrahimi and the reasons behind the selection of his literature. Then the paper deals with the most important characteristics of the literary writings of Al- Ibrahimi. The second subtitle presents the origins and sources of Al-Ibrahimi's writing; here I focused on the impact of the Quranic discourse and Hadith on Al-Ibrahimi's way of writing and the way he dealt with Quran in general. Besides, I spoke about the influence of the Arabic ancient poetry especially on his choice of vocabulary, sentences structure, aims, moral values and the historical and narrative references.

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد:

فإنّ الأدب الإبراهيميَ منبعٌ ثرٌّ لا ينضبُ، ارتبط بالجزائر العميقة ورافقها في أمالها وألامها والحديث عن أدب **الإبراهيمي** هو حديث عن أدب المقاومة الثقافية.

لقد وجدت الرغبة تحدوني إلى دراسة الأدب **الإبراهيمي**، فأحببت أن أُلِم شتات هذا الموضوع، وأُرتب أفكاره وأدرس آثاره، فما يميز هذا الأدب نزعته العميقة إلى الأصالة والأخذ بحظ وافر من طرائق الأقدمين في النسج، مع وضوح الشخصية، ورصانة العبارة، وبراعة الإشارة، ومتانة السبك، ورونق الأسلوب. وشمولية النظرة مع الصبغة الإنسانية التي يُمكن أن تصير تجربة كلّ إنسان مرَّ بنفس الملابسات التي مرّ بها الإمام.

وكمنت أسباب وراء اختيار الموضوع:

- طرافة الأدب الإبراهيمي وجماله الذي صادف رغبةً قديمةً جعلني أُقبل عليه وأسعد بدراسته.
- لعلّ هذه الدراسة تساهم في إماطة اللثام عن بعض تاريخ الجزائر الثائرة، وعن أدب المقاومة الثقافية في ربوع هذا البلد الحبيب.
- هذا البحث هو بعض الوفاء للشيخ **محمد البشير الإبراهيمي**، وبعض العرفان للرجل لما له من أيادٍ بيضاء على الجزائر وعلى الأجيال بصفة عامة.

المنارة للاستشارات

- المكانة الأدبية التي اضطلع بها **الإمام الإبراهيمي** بين الأدباء والعلماء التي تُغري الدارس للأدب الجزائري أن يقف عنده ملياً.
- بناء شخصية الباحث العلمية من خلال دراسة هذا العمل الأدبي الفذ.

وقد جاء العمل يسير وفق منهجية التالية:

المقدمة حوت تمهيدا وجيزا نوه بالأدب الإبراهيمي ومدي جماليته، ثم عرضت لذكر الأسباب الكامنة وراء اختيار الأدب الإبراهيمي، ثم بعدها **مبحث** تحت عنوان الخصائص العامة للكتابة الأدبية عند الإبراهيمي وفي هذا البحث اقتصرت على أهم الخصائص التي يستشفها الباحث لدى مطالعته لأثار الإبراهيمي.

أمّا **المبحث الثاني** فقد جاء بعنوان أصول ومصادر الأدبية لدى **محمد البشير الإبراهيمي** ويندرج تحته عدة أبواب. الباب الأول: تأثر الإمام بالقرآن العظيم، وفي هذا الباب تنَاوَلت مظاهرَ التأثر بالخطاب القرآني ورصَدت الدراسةُ أبرزَ الطرق التي تعامل بها الإمام مع النص الرباني فتتبَّعت ملامحَ التأثر المباشر به في المعجم اللغوي سواء على مستوى اللفظة المُفردة والجملة المُركبة، وفي الأغراضِ والقِيَم المعنوية، وفي الإشارات التاريخية والقصصية.

الباب الثاني: التأثر بالحديث النبوي الشريف، وعملت فيه كذلك على التركيز على تأثر الإمام بلغة الحديث النبوي وبمعانيه. أما في الباب الثالث فقد بحثت تأثر الإمام بالشعر العربي؛ فمما لا شكَّ فيه أنّ الأدب الإبراهيمي ارتبطت بالشعر العربي منذ بواكيره الأولى، وشكل الشعر عمود ارتكاز لديه في التجربة الأدبية،

المنارة للاستشارات

وصار مادة خصبة غذت أدب الإمام باللفظة الجميلة والمعنى النفيس، والصورة الفنية المبتدعة. وقد تم خلال هذا المبحث تتبع مظاهرَ تأثير التراث الشعري في المعجم اللغوي، من خلال اللفظة المفردةِ والتركيب اللغوي وبيان ظلالها في أعماله الإمام كما تم التركيز على استشهاد الإمام بالشعر العربي.

وقد جابهتني صعوبة الأدب الإبراهيمي فقد تجشمت به مركباً وعراً يضرب في مناحي معرفية كثيرة ويُغرق في الإشارات التاريخية والمرجعيات العلمية، الأمر الذي عسر إدراك المرامي الحقيقة للإمام.

والله أسأل التوفيق والسداد.

المنارة للاستشارات

خصائص العامة للكتابة الأدبية عند الإبراهيمي:

لقد كان الإبراهيمي أمة وحده في أسلوب، و نسيجاً متفرداً في الكتابة الأدبية، ولم يتفق هذا –في ظني– لكاتب بعده حتى الذين قلدوه وقعوا دونه، ولم يستطيعوا أن يجاروه. ولعلّ اكتسابه لهذه المهارة الأدبية راجع إلى أسباب منها الموهبة الفطرية، وسعة الاطلاع والموسوعية التي تجعل المرء يظن أنّ هذا الرجل قد جمعت علوم الدنيا بين عينه ينتخب منها ما يشاء.

1- **للإبراهيمي** أسلوبان: أسلوب مرسل ليس فيه شيء من التوازن والترادف بل يطلق فيه الكلام إطلاقاً، ولا يقطع أجزاءه، ولا تتساوى عباراته. ويظهر هذا الأسلوب بجلاء في بعض رسائله الديوانية ورسالته العلمية الوحيدة في المتن، وأسلوب أدبي مترسل، فيه شيء من التوازن والترادف والازدواج، ويقوم هذا الأسلوب على تقسيم العبارات، وبراعة الموازنة بين الجمل؛ إذ تتعادل فيه الألفاظ والتراكيب. ويظهر هذا النوع في جلّ كتابات الإمام حتى غدا سمة غالبة عليه يعرف بها. وقد ينوع الإمام مستويات أدائه ضمن النص الواحد . فيتساوق الأسلوبان معاً أو يطغى أحدهما وهذا راجع إلى المقام أو مقتضى الحال كما هو معروف قديماً. وتظهر في هذا الأسلوب الجزالة والفخامة، والتفنن في صياغة العبارة، والدقة في تأليفها.

2- الاعتماد على اللغة المستمدة من القاموس اللغوي القديم وإحياء العبارة الفخمة فخرج باللغة من كونها مجرد أداة للتواصل إلى لغة تجمع بين

المنارة للاستشارات

التواصل والجمال الفني. فبرع بهذا في تصوير النزعات الإنسانية. وكشف خفايا النفوس وخبايا القلوب.

3- اعتماد الاقتباس والتضمين بكثرة والوفرة في توظيف الإشارات الأدبية والتاريخية. ويرجع هذا إلى تشبعه بالثقافة العربية والإسلامية.

4- حشد الصور البيانية والمحسنات البديعية ولا يدخل هذا في باب التكلف لأنه لا استكراه ولا تنافر ولا تعقيد فيها. بل جاءت سمةً دالة على الصنعة الفنية.

5- يتسم كذلك أسلوبه بالموسوعية التي تضرب في شتى المناحي المعرفية الأمر الذي عسر من تناوله بالدراسة.

6- السخرية :كثيراً ما كان الإمام يوجه النقد اللاذع للمجتمع في صورة ساخرة، ولعلّ هذا الأمر أبلغ في النقد وإلحاق الوجيعة "والحق أن السخرية لا تختلف كثيراً عن العنف، لأن استخدام سلاح السخرية في الأدب هو في حد ذاته ضرب من العنف. فإنما العنف وقصف الخصم بقذائف من الكلام، وقصم ظهره بسهام من القول، في حين أن السخرية تهكم معنوي شديد اللذع، ثقيل الوطء، عنيف الوقع."[1]

7- و**الإبراهيمي** بارع في إيراد السخرية والتهكم وهو في هذا يحيل على نماذج من السخرية عند فحول البلاغة القديمة أمثال **الجاحظ** في كتابه البخلاء. وتظهر السخرية عند الإمام على مستوي العبارة الطويلة والكلمة

---

[1] عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي1931 -1954،ديوان المطبوعات الجامعية، د ط 1983، ص:384.

المنارة للاستشارات

المفردة القصيرة، وحتى على مستوى الحرف والنقطة ومن أمثلة ذلك ما جاء في سياق حديثه عن المرأة التي تزعم لها الحكومة الفرنسية الحرية يقـــــول:

" المرأة الجزائرية تنتحب، والحكومة الجزائرية تريد لها أن تنتخب...والفرق بسيط، مادام الفارق نقطة... وقاتل الله هذه الخاء، فما أعسرها في المخرج. وما أسعد من لا ينطق بالخاء."[1]

8- الترعة التعليمية والإصلاحية: لم يكتب **الإبراهيمي** للترف الفكري أو التأليفي إلاّ في النزر القليل بل اتخذ موقفاً منذ البداية يقوم على الصراحة والوضوح والإخلاص، وشارك شعبه بالدرجة الأولى همومه الاجتماعية والسياسية ومواقفه الوطنية ووقف كالطود الشامخ لمواجهة يد العابثين بالدين والأمة. الأمر الذي وصل به إلى حد إنكار ذاته في سبيل خدمة قضيته الوطنية التي نذر لها نفسه منذ البداية. وجاءت بهذا المقتضى جلّ كتاباته كواقعة اجتماعية.

وهذا الالتزام لم ينجم من فراغ بل نجم عن إحساس عميق بالمسؤولية الملقاة على عاتقه باعتباره رجل علم وإصلاح.

9-ونتيجة لهذا الشعور ظهر عند الإمام الترعة التعليمية فقد كان يرى أنّ التعليم أساس كلّ إصلاح فبذل الوسع في إنشاء المدارس والمعاهد

[1] الإبراهيمي، الآثار، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط 1997،ج 03، ص: 131.

المنارة للاستشارات

والمساجد وألقى فيها الخطب الرنانة، وطافت رسائله البليغة أقطار المعمورة طلباً للدعم المادي والمعنوي للمشاريع التعليمية. وطفحت بعض مقالاته بالمصطلحات العلمية التي حاول شرح بعضها. ومن أمثلة ذلك ما ورد في مقاله– الطلاق– وهو حلقة من مقاله المسلسل المعنون بـ: من مشاكلنا الاجتماعية. فكأننا به في هذا المقال يضع تعريفاً للطلاق فيقول "الطلاق حل عقدة، وبت حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كل ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعها بمعنى آخر، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألّم والتظلّم"[1]

ثم نراه يتعرض لهذا المصطلح عند الفقهاء، فيعمد إلى بيان السبب الذي نجم عنه قصورهم في فهمه يقول: "ولو أن فقهاءنا أخذوا الفقه من القرآن، ومن السنة القولية والفعلية، ومن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقّلين المستدلين التي تقرن المسائل بأدّلتها، وتبن حكمة الشارع منها، لكان فقههم أكمل، وآثاره الحسنة في نفوسهم أظهر، ولكانت سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن وأنفذ، ويدهم في تربيتهم وترويضهم على الاستقامة في الدين أعلى."[2]

---

[1] الإبراهيمي، الآثار، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ص297

[2] المصدر نفسه، ص:298

المنارة للاستشارات

المبحث الأول: التأثر بالقرآن الكريم

لقد كان القرآن ولا يزال قبلة النقاد والعلماء وكتاب العربية الأول الذي أعجز الفصحاء وأدهش البلغاء، فوقف أرباب البيان أمامه عاجزين، ووقع البلغاء دونه مقصرين، وهو النموذج المحتذى أسلوباً ومضموناً، وقد عرف العرب الشعر وسجع الكهان والخطب والرسائل وكانت هذه الفنون الإبداعية شاهدة لهم على البراعة التعبيرية، فلما نزل القرآن الكريم أظهر لوناً جديداً فذاً من الإعجاز اشرأبت إليه الأساليب فارتقت به.

إنّ المتتبع لكتابات **الإبراهيمي** يرى تأثره البالغ بسحر القرآن الكريم فقد عاش **الإبراهيمي** بالقرآن ومن أجل القرآن فقد كان دعائه في المسجد، ونظامه في حياته ومنهاجه في العمل ودستور دعوته، سرى في فيه مسرى الروح من الجسد.

وقد اكتسب **الإبراهيمي** قوة أسلوبه المتمثل في قوة العبارة، وجزالة اللفظ، وحسن الإيجاز مع دقة التصوير من القرآن لأن "كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقةً في البلاغة وأذواقها من الجاهلية في منثورهم ومنظومهم... ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك أنّ هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث، الذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونهما ولجت في قلوبهم، ونشأت على أساليبها نفوسهم، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في

المنارة للاستشارات

البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليهما ".[1]

وإذا قارنا بين حضور النص القرآني وبين مصادر الاستشهاد الأخرى من شعرٍ وحديثٍ وغيرهما وجدنا القرآن الكريم الأصل الأول لهذه المصادر، وهو الدعامة التي ترتكز عليها الكتابة الفنّية لدى **الإبراهيمي**. فأغلب شواهد الإمام شواهد نصية من القرآن الكريم والسنة النبوية، والشواهد القرآنية فيها قرابة مئتين وثلاث وعشرين آية، والذي يلاحظ أنّ هذا الأمر لم يقع عفويا بل كانت خطًا منهجيًا قصد إليه الإمام في جميع أعماله الكتابية من خطبٍ مقالاتٍ ورسائلٍ. وتعليل هذا راجع إلى:

1- اعتماده على الشاهد القرآني، في كتاباته من منظوم ومنثور.

2-سلوكه القرآني في أخلاقياته، وفي حياته العامة.

3-مناداته في أكثر من مناسبة إلى جعل القرآن دستورا ونبذ الدساتير الوضعية.

و**للإبراهيمي** فلسفة في التعامل مع هذا الكتاب الرباني فـ"سرُّ القرآن ليس في هذا الحفظ الجاف الذي نحفظه، ولا في هذه التلاوة الشلاء التي نتلوها، وليس من المقاصد التي أُنزل لتحقيقها تلاوته على الأموات ولا اتخاذه مكسبة والاستشفاء به من الأمراض الجسمانية. وإنما السرّ كلّ السرّ في تدبره وفهمه وفي إتباعه والتخلق بأخلاقه. ومن آياته ﴿ كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته وليتذكر أولو

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص:798.

المنارة للاستشارات

الألباب﴾ **و** ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ هذه هي الطريقة الواحدة التي اتبعها المسلمون الأولون فسعدوا بإتباعها والاستقامة عليه، وهذا هو الإسلام متجلياً في آيات القرآن ".[1]

وسنعالج في المبحث تأثر **الإبراهيمي** بالقرآن الآثار للكشف عن التقاطعات الحاصلة بين كتاباته وبين القرآن العظيم، ولبيان حقيقة هذا التفاعل عن طريق الوقوف على أنماط استحضارها، ووسائل استعادتها أو تقليدها.

المطلب الأول: على مستوى المعجم اللغوي

1. المستوى الإفرادي (الكلمة المفردة):

لقد تردد استعمال **الإبراهيمي** للفظة القرآن وذلك في معرض حديثه عن عظمة القرآن فهو الدستور الذي يتعلق به قيامها قال: "كيف يشقى المسلمون وعندهم القرآن الذي أسعد سلفهم؟ أم كيف يتفرقون ويضلون وعندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى؟ فلو أنهم اتبعوا القرآن وأقاموا القرآن لما سخر منهم الزمان وأنزلهم منزلة الضعة والهوان. ولكن الأولين آمنوا فأمنوا واتبعوا فارتفعوا، ونحن فقد آمنا إيماناً معلولاً... ".[2] وقد تداولت لفظة القرآن بعدة معاني في الاتجاه الإصلاحي الذي ترأسه العلامة **ابن باديس** والذي خلفه من بعده **الإبراهيمي** يقول **ابن باديس:** "هو الذكر الحكيم، وهو النور المبين هو الصراط

[1] الإبراهيمي، الآثار، ج01، ص: 161/160.

[2] المصدر السابق، ص:159/158.

المنارة للاستشارات

المستقيم هو حبل الله المتين ،فمن تمسك به نجا ومن تركه كان من الهالكين."[1] هذه بعض مسميات القرآن كلفظ الذكر التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الحجر:**9**.

يقول **الإبراهيمي** في مقال بعنوان "مولاة المستعمر خروج عن الإسلام:" إنَّ الاستعمارَ يلفِظ أنفاسَه الأخيرة فلا يكتُبْ عليكم التاريخُ أنّكم زِدتم في عمره يوماً بموالاتكم له. ولا تحالِفوه فإنَّ من طَبعِه الحيوانيّ أن يأكلَ حليفَه قبلَ عدوِّه أيّها المسلمون أفراداً وهيئات وحكومات: لا توالُوا الاستعمارَ فإنَّ موالاتَه عداوةٌ لله وخروجٌ عن دينه. ولا تتولّوه في سِلم ولا حَرب فإنَّ مصلحتَه في السِّلم قبل مصالحكم، وغنيمَته في الحرب هي أوطانُكم. ولا تعاهِدوه فإنّه لا عهدَ له. ولا تأمَنوه فإنّه لا أمانَ له ولا إيمان".[2] إنّ المطالع لهذه الفقرة لاشك يتذكر قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم و يحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ سورة المجادلة **14**.

أما فيما يخص رسالته التي أرسل بها إلى **أحمد بن أحمد قصيبة**، رحمه الله، فإننا نجدها مرصعةً بألفاظ كلها من وحي القرآن العظيم ومن منهلِ عذب كلماته، يقول فيها: أوصيكم بأن تكونوا بررة بهذه اللغة الشريفة لتُحيوها فتَحْيوا بها، وما ذلك إلا بالتعمّق في فقهها والاصطباغ بآدابها وحِكَمها، وسبيل ذلك كلّه

---

[1] عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط:1، 1985، ج:1، ص:171.

[2] الإبراهيمي، الآثار، ج5، ص:70.

المنارة للاستشارات

المطالعة المنظّمة."[1] أنّ المتأمل لذا البيان لتحيله كلمة بررة إلى قول مولانا: ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾عبس 16.

المستوى التركيبي:

وإذا كان الشيخ **البشير الإبراهيمي** يقتبس من القرآن ألفاظه مما أهله لاكتساب معجم لغوي رفع بأسلوبه إلى مصاف أصحاب الصنعة من الأدباء وكبار الكتاب؛ فإنه لا يتورع كذلك في أخذ جمل بحالها من القرآن، فقد جاء في مقال له بعنوان: "فصل الحكومة عن الدين" الذي دافع فيه عن الدين الإسلامي وأنه يجب أن لا يُفصل عن الحياة السياسية لأنه دستور الله وحبله المتين، وكل طرق الفلاح مسدودة إلا من طريقه، ثم تكلم عن القضاء الذي هو ميزان الشريعة وقانونها الأسمى وأساس ملكها، ثم عرج إلى مهاجمة رجال السوء من رجال الدين وعلى رأسهم محمد العاصمي المفتي الملكي يقول: "...و لكن هل لشركائه مثل أربه حتى يعرضهم لما كانوا منه في أوسع عاقبة؟ إنّه لهم مولى شؤم، وعشير سوء، لبئس المولى و لبئس العشير".[2] فالملاحظ للعبارة الأخيرة لتحيله إلى قول مولانا:﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾

وفي سياق رده عن المستدمر الفرنسي الذي سعى بكامل ما أوتي من قوة لزرع أسباب الفتنة وعوامل التفرق بين أفراد الأمة الواحدة، يقول **الإبراهيمي** في مقال تحت عنوان "فلسفة الإصلاح الاجتماعي": "وقد انقرضت تلك الفرق

---

[1] المصدر السابق، ج2، ص:39.

[2] المصدر نفسه، ج03، ص:150.

المنارة للاستشارات

وانقرض بانقراضها سبب جوهري من أسباب التفرق بل مات بموتها شاغل طالما شغل طائفة من خيرة علماء المسلمين ببعضهم وجعل بأسهم بينهم شديد، و ألهاهم بما يضر عما ينفع ".[1]؛ فقد اقتبس جملة " بأسهم بينهم شديد " من قول الله عزّ وجل: ﴿ لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ الحشر **14.**

وهكذا يتمادى الإمام في توظيف ألفاظ القرآن في أكثر من صورة وهو يتحدث عن الاستعمار الفرنسي "هلمّ إلى الدّين تجد الاستعمار الذي كفر بالأديان يقول لك بصريح القول والعمل: أنا أحق منك بالتصرف في دينك، فلا تدخل المسجد إلا بإذني، ولا تصل إلا من وراء إمامي، ولا تحجّ إلاّ برخصتي، ولا تصم إلا على رؤيتي... ثم ارجع البصر في الدنيا وقوانينها التي يسوسنا بها الاستعمار تجد ذلك المعنى لائحاً في كل حرف منها، فائحاً من كل كلمة من كلماتها، واضحاً في كلّ تأويل من تأويلاتها، بيّنا في كلّ تطبيق من تطبيقاتها". إنّ القارئ لهذا المقطع من هذا المقال لتحيله عبارة" ثم ارجع البصر في الدنيا" إلى قوله: ﴿ لَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُور﴾ سورة الملك**03.**

[1] المصدر نفسه، ج:01، ص:166.

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: على مستوى المعاني والقصص القرآني

لقد كان القرآن ومازال المنبع الذي سالت عليه قرائح الشعراء والأدباء والعلماء، فهم واقعون تحت سلطانه خاضعون لبيانه وكلهم إما مقتبس من لفظة، أو مستلهم من معانيه.

في بيان منه إلي أهمية هذا الدستور الرباني الشامل لجميع نواحي الحياة، يشير الشيخ **الإبراهيمي** إلى هذا المعنى، فنجده يقول: "القرآن كتاب الإنسانية العليا استشرفت إليه قبل أربعة عشر قرنا حين ضامها أبناؤها فعقوها فارتكسوا في الحيوانية السفلى فأخلدوا إلى الأرض فأكثروا فيها الفساد, فأنزله الله من السماء ليصلح به الأرض وليدل أهلها المستخلفين عليها من بني آدم على الطريق الواصلة بالله، ويجدد ما رث من علائقهم به. وما أشدّ شبه الإنسانية اليوم بالإنسانية قبيل نزول القرآن في جفاف العواطف وضراوة الغرائز وتحكم الأهواء و التباس السبل وتحكيم القوة و تغول الوثنية المالية . .."[1]

إنّ الناظر لسيرة وكتابات الشيخ **البشير الإبراهيمي** يجدها عامرة بالقرآن العظيم الذي يفوح عبقه في نفس الشيخ شعرا ونثرا، يقيم معه في حله وترحاله، وكان قضيته التي عاش يدعو إلى الرجوع إليها لأنه علم يقينا أنّ القرآن هو السبيل القويم الذي بالرجوع إليه يستقيم حال هذه الأمة التي ما تخلفت ثم استعمرت إلا بعد تخلت عن هذا الحبل المتين والمنهج القويم وفي هذا يخاطب الشباب "أي شباب الإسلام: إنّ الأوطان تجمع الأبدان، وإنّ اللغات تجمع

[1] المصدر السابق، ج02، ص:249.

المنارة للاستشارات

الألسنة، وإنّما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها ويصل بين نكرات القلوب فيعرّفها هو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة ولكن التمسوها في الدين والتمسوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع، والدار أجمع، والعديد أكثر والقوى أوفر"[1].

نجد في كلام **الإبراهيمي** معان دائرة تذكرنا ببعض معاني القرآن الكريم كمعنى الاعتصام بكتاب الله ونبذ الفرقة إذ يقول جلّ من قائل:﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقضكم منها﴾ آل عمران103.

وهكذا نجد **الإبراهيمي** يتدرج في معاني القرآن ويقتبس من هذا المورد، فيمضي في توضيح معنى الجهاد ودوره في إعلاء كلمة الحق وأنّ فيه خلاص لهذه الأمة من ربقة الاستعمار، فقد آن لهذه الأمة أن تكسر قيد الاستعمار وتبادر إلى امتلاك زمام نفسها. يقول **الإبراهيمي** :"أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود فلغته سماوية لا تحمل معاني التراب، ومتسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب، وأما المجاهدون في سبيل الله، فلا يعدون الربح والخسارة في آرائهم، ولا يدخرنّ الوقت – طال أم قصر– في حسابهم"[2]. ثم هو بمنزله الرأس من الجسد وهو استجابة لنداء الله

---

[1] المصدر نفسه، ج 01، ص:163.

[2] المصدر السابق، ج04، ص:259.

المنارة للاستشارات

في قوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ البقرة **190**.

يدعو **الإبراهيمي** إلى جملة صالحة من الأخلاق و المبادئ والقيم، وهي نفس المبادئ التي أمر بها الشارع الحكيم ودعا إلى تربية النشء عليها، يقول الإمام : "ربوهم على الرجولة وبعد الهمة، وعلى الشجاعة و الصبر على الإنصاف والإيثار، وعلى البساطة واليسر، وعلى العفة والأمانة... "[1].هذه المبادئ تندرج كلها تحت مسمى واحد – إذا صحّ القول– وهو مبدأ الإحسان الذي هو مبدأ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من طيب الشمائل وكريم الفضائل، قال تعالى: ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإناء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ النحل90.

نجد في هذه الفقرة رمز وإشارة وإلى قصة إبراهيم عليه السلام وما فعله بآلهة قومه ولعلّ **الإبراهيمي** في هذا المقام يشبه العاصمي وأذنابه بالأصنام ويشبه نفسه بإبراهيم عليه السلام.

ومما لا شك فيه أن للقصص القرآني معجزة تأثيرية سواء ألمعت بعض أسرارها أم خفيت سحرت بجمالها العقول والقلوب التي عجزت عن الإحاطة بها. والقصص القرآني له عظيم الأثر في الإقناع العقلي والتأثير الوجداني، وإثارة المشاعر. يتوسل بالجمال الفني لتحقيق الوعظ والتربية الدينية، وهذا أبلغ في التأثير وفي مقادةِ القلوب نحو الفكرة الدينية. وقد جاء لقصة قوم ثمود ورود في

[1] المصدر نفسه، ج02، ص:115.

المنارة للاستشارات

المقال الأول من سلسلة المقالات بعنون "حدثونا عن العدل فإننا نسيناه" نعى فيه العدل في المجتمع الجزائري الذي بنى الاستعمار سياسته على احتقار المسلم وهضيمة حقه ولولا بقايا مسكةٍ من أصول عربية قُحة ورمق من بقايا الإسلام لباد هذا الجيل كأقوام عاد وثمود واندثر ولم يبق منه إلا أحاديث وسير يقول: " ياالله... لما يحمل هذا الجسم المثخن بالجراح من حصانة ومناعة، ولما يمكن فيه من دفاع ومقاومة، هي آثار الخصائص الأصيلة في الجنس العربي، ولولاها لكان من الغابرين، وهي بقايا المزايا السامية من الدين المحمدي، ولولاها لختم به التاريخ طسم وجديس وعاد الأولى".[1]

لقد ألف **الإبراهيمي** اللغة القرآنية، وسالت على لسانه مفرداتها المختلفة، ويرجع ذلك إلى طبيعة مكوناته الثقافية التي كان القرآن الكريم أحد أبرز مصادرها. وقد كان من أبرز ملامح هذه الألفة كثرة المفردات والتراكيب القرآنية في معجم اللغوي عند **الإبراهيمي**. كما استلهم المعاني القرآنية التي تكسب النصوص جمالاً وشاعرية.

المبحث الثاني: التأثر بالحديث النبوي الشريف

تبنت (جمعية العلماء المسلمين) مشروعها الذي يقوم على الدين والعلم والأخلاق، لأنها رأت منذ البداية أنّ إصلاح العقيدة أساس كلّ إصلاح، ورفعت في هذا شعار الإمام مالك منذ البداية "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به

[1] المصدر نفسه، ص:363.

المنارة للاستشارات

أولها ". وإذا كان أعضاء الجمعية قد جسدوا هذا الشعار بأقوالهم وأعمالهم. أفلا يجسّدوه في كتاباتهم من باب أولى؟

المطلب الأول: على مستوى المعاني والاستشهاد به

لقد كان الإبراهيمي كثير الاستلهام لمعاني الحديث النبوي الشريف كثير الاستحضار له مما يعكس مدى تشبعه بالثقافة الدينية، والتي على رأسها بعد القرآن، الحديث النبوي الشريف، فلا تكاد توجد خطبة من خطبه، أو مقالة من مقالاته... ، إلا واستشهد فيها بآية أو بحديث نبوي، لأنه أدرك بفطرته السليمة ما لهذا الأخير من عظيم أثرٍ على النفوس، وإذا كان القرآن الكريم أعظم رافد للبلاغة العربية وأهم معين للأدب العربي فإنّه لم يكن في ذلك وحده فقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة كذلك طرازًا قولياً رفيعاً، رأى فيها العلماء والأدباء سموًا عن مستوى الخطاب المألوف لديها. فاعتكفوا عليها في جميع العصور واهتموا بروايتها وحفظها، ثم كتابتها وتدوينها، والبحث عنها والقضاء بها والعمل بها.

وقد وصف الجاحظ الحديث النبوي الشريف بـ"الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف"[1]، وكان كما قال الله تعالى :﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ ص**86**.

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان،1423هـ، (د ط)، ج02، ص:13. عمرو بن بحر

المنارة للاستشارات

في المقال الذي نشره تحت عنوان "نداء إلى الشعب" بمناسبة الكارثة التي حلت بمنطقة الشريعة ونواحيها من أحواز تبسة. فقد دهمت السيول الجارفة السكان وأتت على البنايات والعمارات وقد قدرت الخسائر المادية بعشرة ملايين، أما الضحايا في الأنفس فتزيد عن المائة، نراه يذكر الأمة بحديث نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام الذي يقول فيها: ﴿ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة؛ فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً؛ ستره الله يوم القيامة ﴾ [1] متفق عليه.

وهكذا يستمر **الإبراهيمي** في النهل من هذا المعين الذي لا ينضب، و يستقي من معانية العذبة، ففي المقال الذي عنوانه "فصل الدين عن الدولة" يتحدث عن المكيدة التي تكيدها الحكومة الفرنسية للمجتمع الجزائري وذلك بإعطاء المرآة حق الانتخاب، الذي ما أرادت من ورائه إلا غمز الإسلام بأنّه لا يعترف بخروج المرأة فكيف بانتخابها، ولكن **الإبراهيمي** بين أنّ الإسلام سبق المدنية الأوربية إلى هذه القيم النبيلة، وساوى بين المرأة والرجل إلا فيما يقع فيه الاختلاف في الطبيعة والطبائع.

---

[1] محمد ناصر الدين الألباني، مختصر صحيح البخاري، مكتبة المعارف، الرياض، ج:2، ط:01، 1422هـ/2002م، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، رقم (1117)، ص:144.

المنارة للاستشارات

ووضح أنه يحافظ على الأنثى فيقول: "ونقول أنّ الإسلام في جماعته لا يزج بالمرأة في هذه المضايق، وفي كل ما يجر إليها، رفقاً بها وإبقاء على شرفها ورعاية لرقة شعورها، ولطافة جوهرها، لا احتقارا لمنزلتها، ولا استخفافا بشأنها، وإنّه ليسوى بينها وبين الرجل في كثير من منازل الكرامة والاعتبار"[1]. ثم يستعير من الحديث معنى المساواة الذي لم يُذكر فيه صراحة، ولكنه يُستشف وذلك في قوله– صلى الله عليه وسلم–: ﴿ويسعى بذمتهم أدناهم﴾.[2] وحديث ﴿ أجرنا من أجرت يا أم هانئ﴾.[3]

وفي مقاله المعنون بـ "الطلاق" الذي يندرج تحت مجموعة مقالات بعنوان: "من مشاكلنا الاجتماعية "يتحدث **الإبراهيمي** عن آفة فشت في المجتمع الجزائري آنذاك وهي آفة الطلاق، فكأنّه يضع لها تعريفاً يقول: "الطلاق حلّ عقدة، وبتّ حبال، وتمزيق شمل، وزيال خليط، وانفضاض سامر، فيه كلّ ما في هذه المركبات الإضافية التي استعملها شعراء العرب، وجرت في آدابهم العاطفية مجرى الأمثال، من التياع وحرارة، وحسرة ومرارة، ويزيد عليها جميعًا بمعنى آخر."[4]، ثم لا يدع عادته وهي الاستلهام من معين الحديث النبوي الشريف في

---

[1] الإبراهيمي، الآثار، ج3، ص: 130.

[2] الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ،ج:02، باب وَدُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا، رقم:1370،ص:994.

[3] الألباني، مختصر صحيح البخاري، ج02–كتاب الجزية، ص:373.

[4] الإبراهيمي، الآثار، ج3، ص:297.

المنارة للاستشارات

معرض إلقائه باللائمة على مقلدة المذاهب الدينية الذين حولوا الحِكم التشريعية إلى أحكام جافة لأنهم أخذوها "من كتب تُعلّم الأحكام لا تُبيّن الحِكَم".[1] فتساهلوا في أطلاق هذه الأحكام الأمر الذي أوقع الظلم على المرأة مستندين على أنه أمر جائز ونسوا أنّ "أبغض الحلال إلى الله الطلاق".[2]

ويستعمل الاستشهاد كذلك في المقال الذي نشره في مجلة الأخوة عام **1954**م تحت عنوان "أعيادنا بين العادة والعبادة" يتحدث على أنّ عباداتنا أصبحت يكتنفها الجمود والذي أفرغها من القيم الإسلامية والإنسانية الجليلة وحولها إلى عادات روتينية قاتلة وتقاليد باليه، تسودها الرتابة والملالة المقيتة في حين أنّه:" لو أوتينا الرشد لكان لنا من أعيادنا الدينية الجليلة مواقف لتصحيح الانتساب، ومواقيت لتصفية الحساب،...فلا يذهب الخرّاصون مذاهبهم في العلل والأسباب؛ فهم بعض تلك الأسباب، ولا يتعبوا أنفسهم في "الوصفات" لدواء أمراضنا فهم بعض أمراضنا، ونحن أعرف بدائنا ودوائنا. ومن آداب النبوّة فينا "الحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ" فأنجع الأدوية لأدوائنا الحمية ... الحمية من المطامع والشهوات فهي التي أفسدت علينا ديننا ودنيانا، وإذا فعلت هذه الحمية فعلها خفّت الأخلاط فخفّت الأغلاط، فتجدد النشاط، فهُدينا إلى سواء الصراط."[3]

---

[1] المصدر نفسه، ص، ن.

[2] أبوداود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، 1430 2009. ط:1، كتاب الطلاق، رقم الحديث2178.

[3] الإبراهيمي، الآثار، ج04، ص:295.

المنارة للاستشارات

أما في كلمته التي كتبت بباكستان، ماي **1952**، بعنوان " أصلح نظام لتسيير العالم الإنساني اليوم هو الإسلام " فقد تكلم الشيخ عن المساواة في الإسلام التي تقع على أساس أعمال القلوب، و(هذا مبدأ استفاضت به السنة النبوية)، وبهذا يكون الإسلام قد "وضع الحدود للسادة والعبيد، وللحاكمين والمحكومين، وللأغنياء والفقراء، وللجار وجاره، وللإنسان والحيوان، وللروح والجسم، فألّف بين السادة والعبيد بقانون الرفق، والترغيب المتناهي في العتق، وألّف بين الحاكمين والمحكومين بقانون العدل والمساواة، وبين الأغنياء والفقراء بنظام الزكاة والإحسان، وبين الجيران بوجوب الارتفاق والحماية، حتى اعتبر الجيرة لحمة كلحمة النسب أو أشد، ومَحا من المجتمع نظام الطبقات والأجناس والعناصر، فلا فضل لعربي على عجمي إلّا بالتقوى، ولا عزّة للكاثر، ولا تعظّم بالآباء، ولا عصبية بالقبيلة، ولا تفاضل بالجاه والمال، وجعل لليتيم حرمة تدفع عنه غضاضة اليتم، ولابن السبيل حقًا يحفظه من الضياع وفساد الأخلاق، وللغريب حقًا يُنسيه وحشة الاغتراب، وجعل ميزان التفاضل روحيًا لا ماديًا، فالغني أخو الفقير بالإسلام، وليس الغني أخًا للغنيّ بالمال، وقرّر للحيوان الأعجم حق الرفق والترييب، وحماه من الإعنات والتعذيب، وأشركه مع الإنسان في الرحمة، ففي كل ذات كبدٍ حَرَّى أَجْرٌ، وحلّ مشكلة الروح والجسم."[1].

[1] المصدر نفسه، ص66.

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: المعجم الحديثي

وفي التقرير الأدبي المذكور سابقا المنشور في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين نجد **الإبراهيمي** يتضرع بالدعاء فيقول "ويسبب لهم رحمتك، ويزحزحهم من عذاب الخزي، فإنه لا يذل من واليت ولا يعزّ من عاديت"[1]. يحيلنا هذا التراكيب إلى حديث القنوت الشهير: "اللهم أهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرَّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تبارك ربنا وتعاليت."[2].

وفي مقال **للإبراهيمي** بعنوان "فلسفة جمعية العلماء العلماء" الذي تحث فيه بإسهاب عجيب عن القرآن ذلك النص الرباني المتواتر القطعي الثبوت، أعجوبة الله ومعجزة رسوله الخالدة الذي يحفظ للأمة عزتها ويقيل عثرتها وينهضها من كبوتها، ثم يتمادى في الحديث حتى يتكلم عن الصوفية التي يراها –رحمه الله– بأنها بدعة التصوُّف مثل كلِّ بدعة أُحْدِثَتْ في هذه الأمَّة، كان أَولها صغيرا يشبه الحقّ، ثمَّ عظُمت، وصارت دينًا يدان بِهَا فيقول:

---

[1] المصدر نفسه:ج02، ص، 426.

[2] محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح: أحمد محمود شاكر وآخرون، دار مصطفى بابي الحلبي، ط1395،02ه/1975م،ج02، ص:328، رقم الحديث 464 .

المنارة للاستشارات

"ثُمَّ أَمِرَ أَمْرُ هذه الصُّوفيَّة، وتَقَوَّتْ على الزَّمَن، والتَقَت مع الباطنية . وغيرها من الجمعيات . التي تَبنِي أَمْرَها على التَّستُّر على طَبيعَةٍ دسَّاسة، وعِرْقٍ نَزَّاعٍ، ومِزَاجٍ مُتَّحِدٍ، واختلطت تعاليمُ هذه بتعاليم تلك، وتشابهت الاصطلاحات، وابتُلِيَ المسلمون من هذه النِّحل بدَاءٍ عُضَال. وقد اتَّسَعَ صدرُها بعد أن تعدَّدَتْ مذاهبُها..."[1].

والذي يلاحظ أن استعمال **الإبراهيمي** لعبارة: **أَمِرَ أَمْرُ**.. إنما هو اقتباس من قول أبي سفيان عندما خرج من عند هرقل بعد أن سأله أسئلة حول الرسول ﷺ أستشفّ من خلالها حقيقة النبي ، فقال أبو سفيان بعد خروجه لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَر*.

المبحث الثالث: التأثر بالشعر العربي

يلحظ المتأمل في النثر **الإبراهيمي** إشارات واضحةً، تؤكد أنّ موروثُ الشعر العربي القديم عمود الارتكاز، يفرض حضوره على كثير من النتاج الأدبي عند الشيخ **البشير الإبراهيمي**، ويتجلى لدى الباحثِ الشعور بمدى تميز الأدب **الإبراهيمي** من حيث اتصالُه بالتراثِ وشدَّة ولائه للقيمِ والتقاليدِ التي تمتدُّ جذورها إلى الماضي العريق.

---

[1] الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص:168.

* الحديث (رقم07) مخرج في الجامع الصحيح للبخاري، باب بدء الوحي، ج:01، ص:191.

المنارة للاستشارات

ومن هنا جاءت فكرة إفراد دراسةٍ في هذا المبحث، تُعنَى بتتبُّع أثر التراث الشعري القديم في الكتابة النثرية عنده، والتعرّف على حقيقة الأثر من خلال تحديد طبيعة العَلاقة بين المؤثِّر والمتأثِّر، والكشفِ عن الكيفية التي تَمّت بها الاستفادة، ومدى إفادة من الموروث. فحاولت تتبع مظاهر تأثير التراث الشعري في المعجم اللغوي، على مستوى المفردة الواحدة وعلى مستوى التركيب اللغوي، وعلى مستوى المعاني. ومما يدفع بفكرة تشبع **الإبراهيمي** ما يُروى عنه من العجب في حفظ الشعر واستظهاره له وذلك لما أتاه الله من ذاكرةٍ قويةٍ وذهنٍ صيودٍ للمعاني كما يروي ذلك عن نفسه، وهو عليم بالأدب قديمه وحديثه، نثره وشعره، و يحسن الاستشهاد بعيون الشعر العربي ويرصع مقلاته وخطبه بها، لما لهذا الأخير من وقعٍ على النفوس، وتأثير على الألباب و**الإبراهيمي** خير من يعلم بالوسيلة التي تُستمال بها الأنفس، وهو لا يدخر جهدًا في بذلها لخدمة قضيته التي وقف عليها حياته واعتبرها مشروع العمر. قد أتى الإمام على أغلب عيون الشعر بالحفظ الاستيعاب، له بصر بشواهده وطرقه ومشاربه له مشاركة قوية في نظم القريض مبثوثة في ثنايا أثاره خاصة ما تعلق بالرجز، تصدر دون سن التصدر ولنتركه يقص علينا العجب "... اختصصت بذاكرة وحافظة خارقتين للعادة.. فحفظت القرآن حفظاً متقناً في آخر الثامنة من عمري وحفظت معه –وأنا في تلك السن –ألفية **ابن مالك** والتلخيص للمفتاح، وما بلغت العاشرة حتى كنت أحفظ عدّة متون علمية مطولة، وما بلغت الرابعة عشرة حتى كنت أحفظ ألفيتي العراقي في الأثر والسير ونظم الدول **لابن الخطيب** ومعظم رسائله المجموعة في كتابه ريحانة الكتاب، ومعظم رسائل فحول كتاب الأندلس **كابن**

المنارة للاستشارات

الشهيد و **ابن أبي الخصال** ...ومعظم رسائل فحول كتاب المشرق **كالصابي** والبديع، مع حفظ المعلقات والمفضليات وشعر المتنبي كله وكثير من شعر **الرضي** و**ابن الرومي** و**أبي تمام** و**البحتري** و**أبي نواس** "[1] وقد كان **الإبراهيمي** يحفظ ديوان شوقي حتى أنّه يُعِد نفسه راوية لشعره، يقول عن رحلته المشرقية: "فمررت على القاهرة وأقمت ثلاثة أشهر طفت فيها بحلق الدروس في الأزهر، وزرت شوقي الذي كنت راوية لشعره. "[2]

المطلب الأول: التأثر بالمعجم اللغوي

لعلّ مقال الشيخ **البشير الإبراهيمي** الموسوم بعبد الحي ما هو؟ وما شأنه ؟ الذي شن فيه هجوماً على محدث المغرب الأكبر **عبد الحي الكتاني** ما يبين بوضوح مدى استحضار **الإبراهيمي** لنصوص الشعرية التي نرى مثولها واضحاً في مفرداته. ويشي بوضوح بترددها في تراكيبه، ويسهم إلى حد بعيد في بناء معجمه اللغوي الذي يحيل ذهنك إلى روائع فحول البلاغة القدامى حتى كأنّ الرجل نسيج وحده في سحر البيان، وبهاء الديباجة، ورونق التعبير.

ففي هذا المقال يقول **الإبراهيمي**: "..وكانوا- أي العرب - غصصًا وسمومًا يوم كان فيهم مرّة وحنظلة ".[3] وقد أخذ عبارة حنظلة من قول الشاعر

---

[1] الإبراهيمي، الآثار، ج05، ص: 165/164.

[2] المصدر نفسه، ص:165.

[3] المصدر نفسه،ص:541 .

المنارة للاستشارات

الأخطل النصراني في هجاء بني كليب بن يربوع رهط جرير [1]:

وترفدهم أبناء حنظلة الذرى حصى يتحدى قبصة كل فاتك.

وكان **الأخطل** يجري على عادة هؤلاء الثلاثة في نقائضهم، فقد كانت الحرب سجال بين الفرزدق و جرير وكلاهما تميميان ولكن من بيتين مختلفين وبين الأخطل هو نصراني كما هم معلوم، وقد أذكى بنو أمية العصبية القومية فعاد الشعر يفتخر بالأنساب وأيام الجاهلية ولعلّ هؤلاء الثلاثة ممن مثلوا هذا المشهد حقّ التمثيل فخلفوا للمكتبة الشعر العربي مآثر وروائع تصدق فها قصيدة المتنبي التي بعنوان "الناس الظلام وأنت النهار" يمدح فيها سيف الدولة [2]:

وعندي لك الشرد السائرا ت لا يختصصن من الأرض دارا

قواف إذا سرن عن مقولي وثبن الجبال و خضن البحارا

---

[1] ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له مهدي بن محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط:1414،02هـ/1994م، ص:221.

[2] ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت،(د،ط) ،1403 هـ/1973م،ص:366/365.(لم أعثر في هذا الكتاب على محقق ولا على دار نشر ولا على طبعة، و قد بحثت على الأبيات المذكورة سابقا، والتي ستذكر لاحقاً، في النسخة التي أخرجتها لجنة التأليف والترجمة والنشر احتفالاً بالعيد الألفي للشاعر، والتي صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها الدكتور عبد الوهاب عزام، وتكرر الأمر نفسه، فلم أعثر على شيء من ذلك) .

المنارة للاستشارات

وكذلك نجد لفظة "حنظلة " المذكورة في مقال **الإبراهيمي** توجد كذلك في قول الفرزدق: [1]

من كل أبلج كالدينار غرته من آل حنظلة البيض المطاعيم

المطلب الثاني: الاستشهاد بالشعر العربي

لطالما عُدّ الشعر رافدًا من روافد الثقافة العربية لذلك تسابق العلماء والأدباء إلى تدوينه واستيعابه ولا أدلّ على ذلك من أن **ابن الأنباري** كان يحفظ ثلاث مئة ألف بيت شاهد، و**الشافعي** كان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها، وغريبها ومعانيها. وقد كانت الضرورة ملحة لفهم اللغة الكتابية لدى الإمام، وفهم أسرارها ومكنوناتها؛ ويتأبى هذا بعيدًا عن الشعر الذي اتخذته **الإبراهيمي** منذ بداياته أداةً لمقادة القلوب وإثارة حماسها وبعث همتها ...واعتمد عليه كثيرًا في الاستشهاد: "وهذا الجنس كثير- الاستشهاد- في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى. وهو أن تأتي بمعنى، ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته".[2] وإكثار الإمام من الشواهد يرجع إلى عدد من الأسباب أهمها:

---

[1] ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه و قدم له الأستاذ علي فاعور: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:01، (د ت) ص:514.

[2] أبو هلال، العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان،(د ط) ،1419 هـ،ج:01، ص:416.

المنارة للاستشارات

1- قوة ذاكرته، وقوة حافظته، وقدرته على الاستعادة .

2- الذوق الرفيع، مما يمكنه من انتخاب الشاهد المناسب، ووضعه في مكانه المناسب.

3-كثرة المحفوظ الذي أسعفه بأن يجد لكلّ قضية شاهدها المناسب.

4- إدراكه أنّ في الشعر مقادةً للقلوب و جلباً للأفهام.

ويبلغ عدد الشواهد الشعرية في أثار الإمام ما يزيد عن مئتين وثلاثة وثمانين شاهداً.

ويُرى عبق الشعر العربي بادياً في كتاباته و في محاضراته المسموعة والمكتوبة. جاء له في كلمته التي ألقاها بعنوان "في النادي القلم الأدبي" ما يلي: "لي من الصلات الطبيعية بنادي القلم أنني أحد هذه العصبة التي تتخذ من القلم أداة جهاد في زمن لغة بنيه أبعد ما تكون عن القلم."[1] ثم أورد عبارة والحكم فيهم للسيف لا القلم. وهي عبارة وقناعه المتنبي التي عاد بها بعد أن جفاه الحظ وتنكرت له الدنيا، من قصيدة عجيبة عنوانها "المجد للسيف لا المجد للقلم"[2]:

حتى رجعتُ وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلمِ

اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به فإنّما نحن للأسياف كالخدمِ

---

[2] الإبراهيمي، الآثار، ج:04، ص:206.

[2] ديوان المتنبي، ص:497.

المنارة للاستشارات

واستشهاد الإبراهيمي بالشعر العربي كثير جدًا، إذ لا نكاد نجد مقالة له أو خطبة إلا ويورد فيها شواهد من الشعر العربي، يوردها إما للتدليل على صحة دعواه، أو لاستنهاض الهمم و بعث الطموح أو للتذكير بأمجاد الأسلاف....

ومن أمثلة ذلك ما جاء في مقاله الموسوم بـ: "في النادي القلم ببغداد "إذ يقول:" وإنّ كثيرًا ممن يحترف هذه الحرفة – ويعني بها حرفة الأدب – بيننا اليوم ممن يصدق فيهم قول الشاعر."[1]:

تبًا لدهرٍ قد أتى بعـتاب ومَحا فنون الفضل و الآداب

وأتى بكتَّابٍ لو انبسطت يدي فيهم رددتـهمُ إلى الكُتاب

ثم يضيف ذلك "إنّ منهم لأدعياء يتقحمون عرينا نامت آساده ،فكأن القائل عناهم بقوله"[2]:

لقـيط في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

فدع عنك الكتابة لست منها ولـو لطخت ثوبك بالمداد

كان الخطاب الذي ألقاه بمناسبة افتتاح مسجد سطيف و الذي اعتبره فاتحة خير وخطوة يجب أن تتلوها خطوات، فقد ظهر لهذه المدينة بعد أن أجالت الفكر، وبعد أن ظهر الشرور الفسق الذي أتى على البقية الباقية من جملة الأخلاق الصالحة، أن تقيم مسجدًا يعالج جور هذا التفسخ الذي سببه الرئيس

[1] الإبراهيمي، الآثار، ج04، ص:207

[2] المصدر نفسه، ص ن.

المنارة للاستشارات

غياب الوازع الديني، وفي هذا المقال يلقي **الإبراهيمي** باللائمة على فئة من الناس تقاعست وتخاذلت عن نصرة الفكرة، لأنهم تنقصهم فضيلة الاجتماع الديني والتي يعتبرها **الإبراهيمي** فكرةً أساسيةً في بناء المشروعات الخيرية التي تحتاج إلى تآزر وتكافل وهما من مسؤولية الجميع، وهذا الأمر وإن كان واقعاً في مدينة سطيف فهو على استحياء ونقص في حين كان في الإمكان بذل الوسع للوصول للكمال الذي ينشده **الإبراهيمي** لهذه المدينة المباركة التي ينتمي إليها، ثم كعادته يستشهد بمليح الشعر فيورد بيت **المتنبي** الشهير[1] :

ولم أرى في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام

إنّ **الإبراهيمي** في مقالته بعنوان "صوت من نجيب فهل من مجيب" التي كتبها بمناسبة تكريم القائد الشعبي العظيم محمد نجيب، تحدث عن فلسطين تلك الشوكة التي زرعت في خاصرة الأمة العربية، وذلك السهم المسموم الذي رميت به في نحرها، وهي النقطة السوداء في تاريخ الأمة العربية التي تدل على تخاذلها وعلى تضييع مبدأ التعاون الذي هو من لوازم الإسلام وداعي من دواعي العروبة.

[1] ديوان المتنبي، ص:373.

المنارة للاستشارات

وإذا أصيبت الأمة العربية في مقتلها فليس من قبيل قلة العدد ...، بل بسبب الوهن والعجز حتى أصبح يصدق فيهم قول **لقريط بن أنيف***وهو بعض شعراء بلعنبر[1]:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن سوء أهل السوء إحسانا

ومن خلال ما سبق انتهيت إلى تقديمِ صورةٍ أعتقد أنها واضحةِ المعالم، تبين حقيقةِ الإبراهيمي الذي تأصَّل فيه الانتماءُ إلى جذورِ الشعر العربي القديم، وذلك من خلال الاستمدادِ المباشرِ لمقاطعِ النصوص القديمةِ، واحتذاءِ معانيها، بهدف إظهارِ المقدرةِ على الكتابة، وهذا الاحتفاء بالشعر دعّم أدبية **الإبراهيمي**، وساهم في بناء المقدرة الأدبية لديه.

ونخلص إلى أنّ صور التناص الخارجي عند الإمام –رحمه الله– ونعني به تأثره البالغ بالقرآن والحديث وجيد الشعر العربي لم تخرج عن صورتين:

1– الصورة الأولى: أنه يورد النص الخارجي مستقلا لدعم أفكاره والاحتجاج لقضيته، وهذا هو الكثرة الكاثرة عنده.

2– الصورة الثانية: براعة التضمين و الإدراج إذ يسوق الشاهد في معرض كلامه و يسبكه سبكاً يُخيل للقارئ أنه من عندياته.

---

[1] أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: فريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1424،01هـ/2003م،ج01، ص:26

المنارة للاستشارات

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن العظيم (جلا منزله وعلا). رواية حفص.

- مسلم بن الحجاج أبو الحسن، **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي بيروت ،(د ط)(د ت).
- محمد ناصر الدين الألباني، **مختصر صحيح البخاري**، مكتبة المعارف، الرياض، ج:**2**، ط:**01**، **1422**هـ/**2002**م.
- أبوداود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة
- محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمود شاكر وآخرون، دار مصطفى بابي الحلبي، ط**02**،**1395**هـ/**1975**م،ج**02** .

❖ محمد البشير الإبراهيمي، **الآثار**، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط**1**،**1997**م.

1. أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: فريد الشيخ، دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط**01**،**1424**هـ/**2003**م.

2. عبد الحميد بن باديس، **آثار الإمام**، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط:**1**، **1985**.

المنارة للاستشارات

3. عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، تح: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان ط:**02**، **1408هـ/1988م**.

4. عبد الملك مرتاض، **فنون النثر الأدبي1931 –1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط **1983**.

5. عبد الملك مرتاض، **فنون النثر الأدبي**1931 –1954، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط **1983**.

6. أبو هلال، العسكري، **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، لبنان، (د ط) ،**1419** هـ.

7. عمرو بن بحر، لجاحظ، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان،**1423**هـ، (د ط).

8. ديوان **الفرزدق**، شرحه وضبطه وتقديم الأستاذ علي فاعور: دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:**01**،**(د ت)** .

9. ديوان المتنبي، دار بيروت، بيروت، (د،ط)،**1403** هـ/**1973م**.

10. ديوان الأخطل، شرحه وصنف قوافيه وقدم له مهدي بن محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:**02**،**1414**هـ/**1994**م.

المنارة للاستشارات